Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ريّضه. وكـذلك الكلام المنثور فى الرسائل والمقامـات والجوابات فقد يتـعذر على الكاتب الأديب وعلى الـبليغ الخطيب، ولا يُعـرف لذلك سـبب إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم. . .»[1].

ومهما يكن حظ هذا القول من القـبول أو الدفع فليس من جملة الهدف هنا أن نناقش ابن قتيبة فى رؤية ربما يصدر فيـها عن قناعة خاصة بمذهبه فى الشعر أو تأثره باتجاه الأدب البـلاطى المادح، ولكن حسبنا من جـملة الشواهد عنده أو عند غيـره - على كثـرتها - أنهـا تؤكد ذلك النسب الوثيق بين النـص والأحوال التى يصدر عنها صاحبه، وأن قريحة الأديب إنما تبلغ ذروتها فيما تجود به إذا تهيأت لها الظروف والأحوال النفسية المناسبة.

بيد أن هذا الفـهم كان يمثل اتجاها تزامـنت معه اتجاهـات أخرى، ربما يعنينا منها فى المقام الأول ذلك الاتجـاه الذى كان يميل بأصحابه إلى التهـوين من علاقة النص بصاحبه، والـتركيز على علاقته بأحـوال المتلقى أو المخاطب. وهذا الضرب من التلقى كان خاصا بالنص البلاطى أو المتكسب بصفة عامة، وفيه يكون صاحب النص محاصرا بجملة من الأحكام، لا يصدر فيهـا الناقد - غالبا - عن مقتضيات الفن الشعرى، أو أحوال الأديب بقدر ما يراعى آداب المسلك فى مخاطبة الأمير أو الخليفة[2]. وكان الخـروج عن تلك الآداب يوقع الشاعـر أو الخطيب فى تورط مع النقاد، الذين يسرعون إلى تصيد المآخذ على كل بيت يخالف هذا المنهج، ومن ثم أنكروا على أبى الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئا[3]:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فالعيب - كـما يقول ابن رشيق - من باب التأدب للملوك وحسن الـسياسة وإلا فالمتنبى كان يخاطب نفسه لا كافورا. وهـو منحى فى الابتداء عرفته القصيدة العربية، وألفه الذوق العربى آنذاك.

---

(١) الشعر والشعراء ص ٣١.

(٢) العمدة لابن رشيق ٢ / ١٩٢.

(٣) المصدر السابق ص ١ / ٢٢٢ .